# تفسير سورة الرحمن وآياتها٧٨

وهكذا تذكر السورة مضافة للرحمن، و[قيل:] يحرم تسميتها بالرحمن بلا ذكر سورة، لأنَّ لفظ الرحمن مختصٌّ بالله تعالى لا يسمَّى به غيره.

(سبب النزول) ويقال: لَمَّا نزل قوله تعالى: ﴿اسْجُدُواْ لِلرَّحْمَنِ﴾ (سورة الرقان: ٦٠) قال كُفَّار مَكَّة: ما الرحمن؟ لا نعرف الرحمن إلاَّ رحمن اليمامة، فنزلت السورة، بمعنى أنَّ الرحمن الذي أنكرتموه هو الذي علَّم القرآن. وقيل: لَمَّا قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ (سورة النحل: ١٠٣) ، نزلت السورة، أي القرآن من الله عزَّ وجلَّ لا من تعليم البشر.

## النعم الإلهية الدنيوية وَالأُخرَوِيَّة

–١–

## نعمة القرآن والآيات الكونية والتنديد بمن يكفر بها

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَٰنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ
② خَلَقَ الْإِنسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ⑤ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ
يَسْجُدَانِ ⑥ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ⑦ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ⑧ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ
بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ⑨ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ⑩ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ⑪
وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ⑫ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ⑬ ﴾

**﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ﴾** تعليمه أفضل النعم لاشتماله على التوحيد الذي هو الأصل، وعلى الأحكام الشَّرعِيَّة، والكتب المتقدِّمة، والوعظ والتذكير بأخبار الأمم. وإسناد التعليم إلى الرحمن إشعار بأنَّ **القرآن من آثار الرحمة الواسعة.**

والسورة لذكر تعدُّد النعم، فقدَّم تعليم القرآن، لأنَّ المكلَّف يعلَّمه ويحفظه ويعمل به، وعقَّب ذكر الإنسان بذكر تعليم البيان ليميِّزه عن سائر الحيوان.

﴿**خَلَقَ الانسَانَ**﴾ جنس الإنسان، وخلقه هو أوَّل النعم عليه، إلاَّ أنَّه قدَّم ذكر أفضل النعم على ذكره و**هو تعليم القرآن، الذي هو الغاية من خلقه، إذ به كماله،** والغاية متقدِّمة على الشيء قصدا ولو تأخَّرت عنه خارجا. والمراد بخلق الإنسان خلق بدنه وما فيه من القوى، والشكل. وقيل: الإنسان آدم، وقيل: محمَّد ﷺ .

﴿**عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ الإفصاح عمَّا في قلبه وفهم ما يُلقى إليه، وعن الضحَّاك: البيان: الخير والشرُّ، وقيل: علَّم كلَّ قوم لغتهم، وعن ابن جريج: الهدى والضلال.

(**نحو**) وقوله: ﴿خَلَقَ الانسَانَ﴾ خبر ثان و﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ خبر ثالث. ﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**﴾ مبتدءان ﴿**بِحُسْبَانٍ**﴾ فضلة متعلِّقة بكون خاصٍّ محذوف مخبر به. وهكذا قل إذا حذف الكونُ الخاصُّ المخبر به، أي يجريان بحسبان، أو جاريان بحسبان، أو يقدَّر المضاف أوَّلا، أي: جَرْيُ الشمس والقمر ثابت أو يثبت بحسبان.

والشمس والقمر يجريان بحساب، ومنازل لا يتعدَّياها. وقيل: المراد حساب الأوقات والآجال، ويدلُّ على الجريان في الآية قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ (سورة يس: ٣٨) ، وهو الظاهر.

﴿**وَالنَّجْمُ**﴾ النبات الذي لا ساق له، من معنى نجم الشيء، أي: ظهر ﴿**وَالشَّجَرُ**﴾ النبات الذي له ساق كالبرِّ والشعير والنخل، تُركَ جريده كلُّه أو نزع أسافله كما هو المعتاد، ولو لم يترع لضعف و لم يطل هذا الطول الذي نراه، وساقه ما يلي الأرض ﴿**يَسْجُدَانِ**﴾ سجود النجم والشجر انقيادهما للنبت والنموِّ والإثمار وسقوط أوراق في شأن ما تسقط، وسائر أحوالهما انقيادا شبيهًا بسجود العاقل لله

تعالى.

﴿وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ رفعًا حسـِّـيًّا، كانت على الأرض ورفعها إلى حيث هي، وفتقها سبعًا، أو رفعًا معنويًّا كذلك، لكن بمعنى خلقها في موضعها المرتفع، ويناسبه قوله تعالى: ﴿وَالاَرْضَ وَضَعَهَا﴾ لأنَّ وضعها خلقها في موضعها لا وضع من عال، ويجوز أن يراد رفعٌ رتبيٌّ معنويٌّ، لأنَّ السماء منشأ أحكامه ونزول وحيه وكتبه وملائكته، ويجوز أن يراد الرتبيُّ والحسيُّ، جمعًا بين الحقيقة والمجاز، أو عموم المجاز. ونصب «السماء» على الاشتغال. والجملة المقدَّرة خبر سادس.

﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلاَّ تَطْغَوْاْ فِي الْمِيزَانِ﴾ شرع العدل من معنى قولهم: وضعت الشيء، أي: أثبته، والزيادة والنقص والمساواة في الحسِّ تتبيَّن بالميزان الحسيِّ، فشبَّه به العدل، فهو ميزان معنويٌّ، فـــ«الميزان» بمعنى العدل استعارة أصلة تصريحيَّة، وذلك بأن يعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، قال ﷺ : «**بالعدل قامت السماوات والأرض**»[1]، أي: بقيتا على حالهما.

﴿وَأَقِيمُواْ الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُواْ الْمِيزَانَ﴾ ويجوز أن يراد بالميزان العدلُ والميزانُ الحِسِّيُّ، جمعًا بين الحقيقة والمجاز وأن يراد عموم المجاز، واللام مقدَّرة، أي: لئلاَّ تطغوا، أي: كراهة أن تطغوا، فـــ«لاَ» نافية و«أَنْ» مَصدَرِيَّة، والعامل «وَضَعَ» و«الْمِيزَانِ» في موضع الضمير.

والمعنى: لأجل أن تحافظوا على شأنه، لا تنقصوا منه ولا تزيدوا عليه، ومن شاء الزيادة من ماله فبعد تحقيق كمال الوزن، ومن شاء النقص من حقِّه فبعد تحصيل حقِّه.

١-أورد السيوطي في الدر المنثور ج٦ ص ١٥٦ما يقربه بعنى .

ومعنى إقامة الوزن بالقسط تقويم الوزن بالعدل، وهو انتفاء البخس في الكيل والوزن كما قال مجاهد: أقيموا لسان الميزان إذا أردتم الأخذ أو الإعطاء، أو أقيموا بالشرع أقوالكم وأفعالكم، أو ذلك كلُّه. وقيل: الإقامة باليد، والقسط بالقلب، والوزن هنا بالمعنى المصدريِّ.

﴿**وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ**﴾ أي: خلقها متسفِّلة حيث هي الآن، ولم يضعها من علوٍّ، فذلك كقوله: وسِّع الخاتم، أي: صغه من أوَّل واسعًا، ووسَّع الدار، أي: ابنها واسعة، أو ليس المراد بوضعها ذلك بل إثباها.

﴿**فِيهَا فَاكِهَةٌ**﴾ مستأنف لبيان بعض منافعها التي للأنام ﴿**وَالنَّخْلُ**﴾ خصَّها بالذكر لأنَّها أفضل الشجر ﴿**ذَاتُ الأَكْمَامِ**﴾ جمع كِمٍّ (بكسر الكاف وقد تضمُّ)، وهو وعاء التمر المسمى طلعًا، أو كلُّ ساتر منها، مثل: الليف والطلع.

﴿**وَالْحَبُّ**﴾ كالبُرِّ والشعير والذُّرَة والسلت ﴿**ذُو الْعَصْفِ**﴾ الورق الذي لذلك الحبِّ مطلقًا، وقيَّده بعضهم باليابس، وفي يابسه ادِّخار لبعض الحيوان، وهو مأكول لها في حال خضرته أيضًا، وذلك امتنان عليهم بمأكولهم ومأكول حيواهم، وفسَّره ابن عباس بالتبن، وعن الضحَّاك أنَّه النخالة.

﴿**وَالرَّيْحَانُ**﴾ النبات الطَّيِّب الرائحة، وعن الحسن: الذي نقول له "القَمَّام"، وقيل: «الرَّيْحَانُ» الرزقُ، سُمِّيَ لأنَّه يُرتاح إليه.

﴿**فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ الفاء لترتيب التوبيخ على كفران ما ذكر من النعم وصنوف الأنعام

(**بلاغة**) **وكلُّ ما ذكر مثل هذه الجملة فترتيب على ما اتَّصَلَ به**، مثل: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ [في السورة السابقة] كلَّما ذكر فباعتبار ما اتَّصَلَ به، فلا تكرير في ذلك، ولو كان تكريرا لكان بلا فاء، بل مجرَّدا، أو بالواو لا بالفاء

المبنيَّة على ما قبلها، وذلك كقولك لعبدك: ألا تطيعني وقد ألبستك؟ ألا تطيعني وقد زوَّجتك؟ ألا تطيعني وقد خفَّفت عنك الخدمة؟ ألا ألا ؟... وقولك لمن أنعمت عليه مرارًا وكَفَرَ النعمةَ: ألم تكن فقيرا فأغنيتك، أتنكر ذلك؟ ألم تكن عريانا فكسوتك، أفتنكر هذا ؟ ألم تكن خاملاً فعززتك أفتنكر هذا ؟... وهذا كثير في كلام العرب والعجم مُطَّرِدًا لا ينكره إلاَّ جاهل معاند.

ونقول: لو لم يذكر هذا التكرير إلاَّ في القرآن لكان معجزًا إذ لا يجد الإنسان ثقلاً في تكريره على نفسه، بل كلُّ واحد طريٌّ جديد، كأنَّه منفرد، كما يجد القارئ جدَّة تعجُّب ونشاط كلَّما قرأ قصَّة الخضر وموسى في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا﴾ (سورة الكهف: ٧١) ، كأنَّه أوَّل ما سمعها.

وذكر «رب» لمزيد التوبيخ، فإنَّ معناه: مَالِكٌ مربٍّ منعِمٌ، ومن هو كذلك لا يليق به أن يُكفر ويُعصى مع وضوح دلائله، كأنَّها ناطقة، حتَّى إِنَّ الكفر بها كتكذيب من تكلَّم، لما عبَّر بالتكذيب.

والخطاب للثقلين، كما أَنَّهما المراد بـــ«الأنام»، أو الداخلان فيه كما مرَّ وكما صرَّح به في قوله عَجَلَّ : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾.

ذكر الله عَجَلَّ ثماني مرَّات في عجائب خلق الله تعالى ومبدأ الخلق ومعادهم، وسبعًا في ذكر النار وشدَّتها عدد أبواب النار، وثمانًا في وصف الجنَّتين وأهلهما على عدد أبواب الجنَّة، وثمانًا في الجنَّتين اللتين دونهما، فمن اعتقد الثماني الأولى وعمل بموجبها فتحت له أبواب الجنَّة، وأغلقت عنه أبواب النار، أعاذنا الله منها، والجملة إحدى وثلاثون آية.

-٢-

## ذكر أحوال بعض النعم من عجائب خلق الله

﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾

**﴿خَلَقَ الانسَانَ﴾** آدم **﴿مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾** هذا البيان لأصل خلقة بني آدم، فبنو آدم خلقوا من صلصال كالفخَّار بواسطة أبيهم، فما بالهم يفتخرون ولا يشكرون النعمة، وقد قيل: «الإنسان» بنو آدم لخلق أصلهم من ذلك، والجمهور على الأوَّل، لأنَّه المخلوق حقيقة من صلصان كالفخَّار بلا واسطة.

**﴿وَخَلَقَ الْجَآنَّ﴾** أبا الجنِّ، وهو إبليس عند الحسن، فهو مخلوق من النار بنفسه، كما هو ظاهر قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ (سورة ص: ٧٦) ، لا بواسطة، كما أنَّ آدم خلق من التراب بنفسه لا بواسطة.

وقيل: «الجان»: الجنُّ كلُّهم، خلق أوَّلهم من النار وتوالدوا منه، فهم منها بالواسطة سواء قلنا إنَّ ذلك الأب غير إبليس أو إبليس.

**﴿مِن مَّارِجٍ﴾** لهبٍ مختلط بدخان أسود، أو بخضرة وصفرة وحمرة، كما روي عن مجاهد، كما يقال: مرجت العهود. وقيل عن ابن عباس: لهب خالص لا دخان فيه، فهو من الأضداد **﴿مِّن نَّارٍ﴾** نعت «مَارِجٍ». و«مِنْ» للتبعيض، أي: بعض مطلق النار، أو للبيان، أي: هو نار مخصوصة. وزعمت طائفة أنَّ الجنَّ نفوس مجرَّدة عن الْمَادَّة.

**﴿فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا﴾** نعمه من خلقه لكم، وتضاعيف خلقكم، وسوابغ النعم

فيه، من قُوَّة بدن وعقل، وتحسين الشكل ﴿تُكَذِّبَان﴾ بإثبات أَلِف «تُكَذِّبَانِ» في بعض نسخ المغاربة، وبحذفها في بعضٍ على القاعدة، وكذا في جميع السورة.

﴿رَبُّ﴾ هو ربُّ، وقيل: مبتدأ خبره: «مَرَجَ البَحْرَيْنِ»، والصحيح الأوَّل ﴿الْمَشْرِقَيْنِ﴾ مشرق الشمس صيفًا ومشرقها شتاءً ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ مغربها صيفًا ومغربها شتاءً، وذلك مذهب الجمهور وابن عبَّاس.

(صرف) والمشرق والمغرب في هذه السورة كلِّها اسما مكان، ويجوز أنَّهما اسما زمان، وأنَّهما مصدران.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ نعمه من الضوء ومنافعها، ومن الظلمة لتسكنوا وتستريحوا بالنوم، ومن الحرِّ والبرد المحتاج إليهما، ومن اعتدال الهواء ومنافع ذلك في الثمار، وغير ذلك، وتجدُّد الفصول والحساب وغير ذلك ﴿تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ خلطهما، أو أرسلهما، كقولك: مرج زيد الدَّابة في المرعى، بمعنى أرسلها، وهما البحر المالح والعذب، وقيل: بحر الروم وبحر الهند، وقيل: أرسل بحري فارس والروم، **والأوَّل هو الصحيح** ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ (سورة الفرقان: ٥٣) ، وقيل: البحران ماء السماء والبحر المالح.

﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ يتجاوران ويتماسُّ سطوحهما ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز من قدرة الله، كما علمت أنَّ بحر النيل يجري في البحر المالح[١]، أو حاجز من الأرض كما علمت في بحر الروم وبحر فارس كما قال قتادة: ﴿لاَّ يَبْغِيَانِ﴾ لا يبغي أحدهما على الآخر، فيفيض عليه وعلى ما بينهما من الأرض، أو لا يفسد البحر المالح البحر العذب الذي هو كالنيل.

---

١-وذلك لاختلاف الثقل النوعي للماء في كلٍّ منهما.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ من عدم اختلاطهما وإغراق ما بينهما من الأرض، ومن السفر في كلٍّ منهما على حدة، ومن عدم إبطال المالح حلاوة العذب، ومن الاصطياد في كلٍّ منهما لما فيه من سمك وجواهر ﴿تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿يُخْرَجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ﴾ الدرُّ الصغار، بوزن الجؤجؤ للصدر. ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ الكبار، كما أنَّ اللؤلؤ صغارُه عند عليٍّ ومجاهد وابن عبَّاس وعنه عكس ذلك، وعن ابن مسعود: «المرجان» الخرز الأحمر، فـ«اللؤلؤ» الدرُّ الصغار والكبار.

ويقال: **إنَّما يخرج اللؤلؤ والمرجان من المالح** فالمراد بقوله: ﴿مِنْهُمَا﴾ المجموع، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ (سورة نوح: ١٦) ، وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (سورة الزخرف: ٣١) ، وكأنَّه قيل: من أحدهما، وهذا واقع في نفس الأمر.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من التَّجْر بهما، والتزيُّن بهما. [قيل:] وإزالةِ الخفقان، ونتن ريح الأنف والفمِ، وضعف الكبد والكلى والحصى.

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ لا لغيره، وكلُّ شيء له وخصَّ «الجواري» بأنَّها له لأنَّ الناس صنعوها، وكونها مصنوعةً لهم لا يمنع أنَّها له، وهو خالق منفعتها ومجراها في البحر.

والياء محذوفة بعد الراء لفظًا وخطًّا. و«الجواري»: السفن حقيقة لغويَّة لا مجاز، مأخوذ من المشي على الأرجل، ولو كان أصله وصفًا.

﴿الْمُنشَأَتُ﴾ المرفوعات الشُّرُع، يقال: أنشأت الشيء، أي: رفعته، أو المبعوثات المجراة بالقلاع، ويضعف قول بعض: المرفوعات على الماء، ولكن فيه حكمة التنبيه على قدرة الله تعالى في إبقاء شيء ثقيل على الماء بلا رسوب.

﴿فِي الْبَحْرِ﴾ متعلِّقٌ بـ«الْمُنشَآت» أو حال، ﴿كَالاَعْلاَمِ﴾ حال، جمعُ عَلَمٍ،

وهو الجبل المطلُّ على ما يَتَّصِلُ بالماء، وإلى جهة السماء ﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا**﴾ من إقداركم على صنعها، وخلق ما تصنعونها به، وركوبها، والحمل عليها، وإجرائها ﴿**تُكَذِّبَانِ**﴾.

## قدرة الله تعالى على تسيير الكون وإفنائه

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا**﴾ أي: على الأرض كما يعلم من المقام، ولو بدون استحضار قوله تعالى: ﴿والأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ﴾. و«مَنْ» لعموم العاقل وغيره تغليبًا للعاقل، أو هي للعاقل للناس والجنِّ.

﴿**فَانٍ**﴾ زائل الحياة، وأمَّا الأبدان فليست كلُّها تفنى، لأنَّ منها ما يبقى. **وفي ذلك زجرٌ عن أن يفوتك بعض من عمرك في غير طاعة، ولو قليلاً.** ﴿**وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ**﴾ الإضافة للبيان، أي: ذات هو ربُّك سبحانه، كاستعمال الجزء في الكلِّ على التجوُّز الإرساليِّ الأصليِّ، تعالى الله عن الأجزاء وعن الكلِّ، وقيل: أصله الجهة، واستعماله في الذات كناية.

والخطاب لرسول الله ﷺ ، أو لكلِّ من يصلح له على العموم البدلي.

﴿**ذُو الْجَلاَلِ**﴾ أي: العظمة التي يعظِّمه الموحِّدون بها، أو هو بمعنى الإجلال، إذ يتزهه عن صفات الخلق من يعرفه، أو المراد: من هو جليل في ذاته، وفسَّره بعض بالاستغناء التامِّ.

﴿**وَالاِكْرَامِ**﴾ يكرم خلقه، أي: ينعم عليهم كلَّهم، أو يكرم المؤمنين بالإسلام

والجنَّة، وفسَّره بعض بالفضل التامِّ، وكلٌّ محتاج حقير.

و«ذُو» نعت لـ«وَجْهُ»، وقرأ أُبيٌّ: «ذِي» نعتًا لـ«رَبِّ».

وفي الحديث: «**ألظوا بياذا الجلال والاكرام**»[1]. وعنه ﷺ أنَّه مرَّ برجل يُصلِّي ويقول: «يا ذا الجلال والإكرام» فقال: «**قد استُجيبَ لك**». قال أنس: كنت مع رسول الله ﷺ ورجل يُصلِّي، ثمَّ دعا فقال: «اللهمَّ إنِّي أسألك بأنَّ لك الحمد لا إله إلاَّ أنت المنان بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والاكرام، يا حيُّ يا قيوم»، فقال ﷺ: «**أتدرون بما دعا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى**»[2].

﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ من كونه ذا إكرام، وكونه يجلُّ الموحِّدين على وجه مِمَّا مرَّ، وكونه جليلا لا يغلبه أحد، فإنَّ هذا عزٌّ لأوليائه يعزُّهم، وكون الأحياء يفنون والأعمال تبقى للجزاء، فإنَّ فناءهم مفتاح للبقاء الدائم، وللجنَّة ونعيمها الدائم، لأنَّهم يدخلونها بعد الموت.

﴿**يَسْئَلُهُ**﴾ كلَّ حاجَة دينيَّة أو بدنيَّة ﴿**مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ**﴾ مِنَ العقلاء الملائكة والإنس والجنِّ، ومَنْ يلهمه الله سبحانه السؤال من غيرهم.

﴿**كُلَّ يَوْمٍ**﴾ كلَّ وقت ولو دقَّ كلحظة، متعلِّق بـ«فِي شَأْنٍ» ولو كان عامًّا معنويًّا للتوسُّع في الظروف بالتقدُّم، أو متعلِّق بما تعلَّق به «فِي شَأْنٍ» ﴿**هُوَ فِي**

---

١-رواه **الترمذي** كتاب الدعوات عن رسول الله، رقم ٣٥٢٤، من حديث أنس بن مالك.

٢-أورده **المنذري** في الترغيب، ج٢، ص٤٨٥، كتاب الدعاء، باب كلمات يستفتح بها، رقم٤، من حديث أنس بن مالك. وقال: رواه أحمد.

**شَأْنٍ﴾** أي: على شأن، أي: أمر من الأمور، كإعطاء ما سألوا، وإنشاء أجسام وجواهر، وسائر أعراض وأحوال وأشكال، وإفناء ذلك.

ومن شأنه أن يحيي ويميت، ويرزق ويُعِزَّ ويُذِلَّ، ويشفي مريضًا، ويسقم صحيحًا، ويفكَّ عانيا، ويفرِّج عن مكروب، ويجيب داعيًا، ويعطي سائلاً، ويغفر ذنبًا، وغير ذلك إلى ما لا يحصيه إلاَّ الله عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا يقع.

**﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾** من إعطاء ما سألتم، وخلق مقدِّماته **﴿تُكَذِّبَانِ﴾**. وأنت خبير بأنَّ «ءَالَآءِ» جمع إِلَى كرِضًى. وأنَّ «بأيِّ» متعلِّق بـــ«تُكَذِّبُ» في جميع السورة.

## الجزاء والثواب في الآخرة على الأعمال

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ
إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾

**﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾** هذه الآية أشدُّ عليَّ كما شدَّ على رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ (سورة هود: ١١٢) ، وأهوالُ القيامة، لأنَّها جاءت على شكل من له مملوك أنعم عليه و لم يشكر، فقال: سأترك الأشغال كلَّها وأعاملك بما تَسْتَحِقُّ !.

والله عَزَّ وَجَلَّ لا يشغله شيء عن شيء، لكن قَضَى الأشياء مرتَّبة والآية **وعيد تهديد على المعصية للمجموع**، ويصدق خارجا بمن أصرَّ، لا تهديد لمن أصرَّ وحده

كما قيل، لأنَّ الثقلين يعمُّ، اللهمَّ إلاَّ أن يراد سنميز لكم بالجزاء العاصي من المطيع.

﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا**﴾ من النعم التي تضمَّنها الإخبار باستقبال التفرُّغ لكم، فإنَّه زاجر عن المعاصي إلى الطاعة الموجبة للنجاة، والفوز بنعم الآخرة، ونعم الدنيا التي تختصُّ بالمؤمن، وإن شئت فقل في جميع السورة: بأيِّ آلاء ربِّكم العَامَّة التي منها كذا ﴿**تُكَذِّبَانِ**﴾.

﴿**يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالاِنسِ**﴾ هما الثقلان، لكن فصلهما لأنَّ من الإنس من يدَّعي القُوَّة، ولشهرة الجنِّ بالأفعال الشَّاقة، ومع ذلك لا يقدر أحد منهما أن يفوت ما كتب عليه من العذاب، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ :

﴿**إِنِ اسْتَطَعْتُمُ, أَن تَنفُذُواْ**﴾ تخرجوا، كما تنفذ جسمًا وتخرج من ثقبه شيئًا ﴿**مِنَ اَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ**﴾ جوانبها هاربين من قضائه ﴿**فَانفُذُواْ**﴾ أمرُ تعجيز عن استطاعة النفوذ، وزاد تقريرًا بقوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿**لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ**﴾ قوَّةٍ قاهرة ولا توجد لأحد، فأنتم عاجزون عن النفوذ.

ومن هذا الباب ما روي «أنَّ الملائكة تحدق بأهل الموقف، فأينما هربوا وجدوا الملائكة تردُّهم».

والآية في أهل الموقف لا سيما يوم القيامة، فالمراد لا جهَةَ تَهْربُون إليها، أو من موضع أطرافها إذا كانت أو توجد السماوات في ذلك اليوم.

وقيل: إن قدرتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض لتعلموا ما فيهما فانفذوا ولا تقدرون على ذلك إلاَّ بأفكاركم، فقد تدركون بها بعضًا، وذكر الأقطار لأنَّها بلا ثقب، وقد عجزوا عن الطلوع إلى السماء وثقبها.

﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا**﴾ من نعمه التي هي التحذير والمساهلة والعفو مع القدرة الكاملة، أو من الاطِّلاع بأفكاركم إذا فسَّرنا السلطان به ﴿**تُكَذِّبَانِ**﴾.

﴿يُرْسَلُ﴾ يصبُّ ﴿عَلَيْكُمَا﴾ ثَنَّى مراعاة للفظ الثقلين إذْ هُوَ تثنية، كما جمع باعتبار أفرادهما قبل ذلك. وقرأ زيد بن عليٍّ: «إن استطعتما» بالتثنية مراعاة للَّفظ ﴿شُوَاظٌ﴾ لهب خالص، كما عند ابن عبَّاس رضي الله عنهما، أو اللهب المختلط بالدخان، أو النار والدخان معًا، أو اللهب الأحمر المنقطع كما قال مجاهد، أو اللهب الأخضر، أو الدخان الخارج من اللهب كما قال الضحَّاك.

﴿مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ دخان اللَّهب معه أو النحاس المذاب، روايتان عن ابن عبَّاس رضي لله عنهما، أو اللهب بلا دخان الشبيه بالنحاس، وقيل: يرسل هذا تارة وذاك أخرى ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ لا تمتنعان أو لا ينصر بعضكم بعضًا.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ من نعم التهديد الزاجر عن أنواع المهالك إلى أنواع المفازات ﴿تُكَذِّبَانِ﴾.

## أحوال المجرمين يوم القيامة بعد قيام الساعة

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ٣٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٨ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْئَلُ عَن ذَنبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ٣٩ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٠ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَٰصِى وَالْأَقْدَامِ ٤١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ الَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ٤٣ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ٤٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٤٥﴾

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ﴾ جوابها محذوف يقدَّر بعد قوله: ﴿كَالدِّهَانِ﴾ للتهويل، أي: كانَ ما لا تسعه دائرة الكلام، أو رأيتما أمرًا هائلاً، أو الجواب قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ...﴾. و«السماء» سماء الدنيا، والسماوات الستُّ تزال بلا انشقاق، وقيل: انشقاقها عبارة عن خرابها، وقيل: تنشقُّ

لنزول الملائكة، وقيل: **عبارة عن شدَّة الهول** ﴿**فَكَانَتْ وَرْدَةً**﴾ تشبيه بليغ كأنَّها نفس الوردة التي تنبت ولها رائحة، ووجه الشبه اتِّفَاق اللون في الحمرة عند قتادة، وذلك بحرارة النار، وعن ابن عبَّاس: كأنَّها نفس الفِرْس الوردي[١].

﴿**كَالدِّهَانِ**﴾ خبر ثان لــ«كَانَتْ» لا نعت لــ«وَرْدَةً»، إذ لا شبه بين الورد والدِّهان، وهو دردريُّ الزيت، [والجامع التموُّج والاضطراب] إلاَّ إن فرضنا أنَّ الورد يذوب فنقول: تذاب السماء بحرِّ نار جهنَّم، فوجه الشبه الذوبان وقيل: اللَّمعان. وعن ابن عباس «الدهان» الجلد الأحمر

﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا**﴾ نعمه التي تضمَّنها الزجر عن المعصية، الدَّاعي إلى نعم لا تحصى، المنجِّي من شرور لا تستقصى، وقد كان عدلاً أنْ يأخذكم بأوَّل معصية بعد الزَّجر و لم يفعل ﴿**تُكَذِّبَانِ**﴾.

﴿**فَيَوْمَئِذ**﴾ يوم إذا انشقَّت السماء، أي: تنشقُّ، متعلِّق بــ«يُسْئَلُ» بعده، وإذا جعل هذا وما بعده من الجملة جوابَ «إِذَا» ففيه تأكيد، لأنَّ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ﴾ مغنٍ ﴿**لاَّ يُسْئَلُ عَن ذَنبِه**﴾ ما هو؟ ولا كم هو؟ ولا لماذا ؟ سؤال استفهام حقيق ليعلموه من جهتهم، لأنَّ الله تعالى عالم به، فهو يجازي عليه لا يفوته، ولأنَّه كتب، ولأنَّه يعرف المجرمون بسيماهم، بل يَسْأل سؤال توبيخ أو تقرير، وهكذا كلَّما نفي السؤال فهو الاستفهام الحقيق، وإذا ثبت فهو استفهام توبيخ أو تقرير، كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة الحجر: ٩٢) ، ثمَّ اطَّلعت أنَّ ذلك مذهب ابن عبَّاس.

---

١-الفِرْسُ (بكسر وإسكان) ضرب من النبات، قيل: وهو القصقاص، وشبَّه السماء بالوردة بجامع كثرة الشقوق كأوراق الوردة.

﴿إنسٌ﴾ آدميٌّ ﴿وَلاَ جَآنٌّ﴾ منسوب إلى الجنِّ، والتقدير: ولا جانٌّ عن ذنبه. ﴿فَبِأَيِّ ءَالآَءِ رَبِّكُمَا﴾ النعم التي تضمَّنها الإخبار بأنَّه لا يُسأل مذنبٌ عن ذنبه لعلم الله تعالى به، ويعرفون بسيماهم فيجازَوْنَ، وكم بَــيَّنَ الأَخبارَ بذلك ليتحرَّزوا ! [1] ﴿تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ هذا كلام مستأنف لا تعليل لقوله ﷻ : ﴿لاَ يُسْئَلُ﴾، لأنَّه لم يقل: لا يسأل إنس ولا جانٌّ هل هو مذنب؟ إلاَّ أن يُدَّعى أنَّ المعنى لا يسأل إنسٌ ولا جانٌّ في شأن ذنبه الذي يتوقَّع ثبوته. و«الْمُجْرِمُونَ» على العموم هكذا، وفاعل المعرفة الملائكة، وكذا الأخذ في قوله: ﴿فَيُوخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالاَقْدَامِ﴾ أي: تعرفهم الملائكة بسيماهم، أي: علامتهم، فيأخذونهم إلى النار بنواصيهم وأقدامهم.

﴿فَبِأَيِّ ءَالآَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ النعم التي يتضمَّنها الإخبار بمعرفة المجرمين بالسيما، والأخذ بالنواصي والأقدام، من الازدجار عمَّا يوجب ذلك، ويقال لهم: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ التِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ قيل: أو مقول لحال محذوفة صاحبها هاء «لهم» أو «منهم» المقدَّر هكذا: بالنواصي والأقدام لهم أو منهم مقولاً: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ...﴾. أو مقول لقول مستأنف جواب سؤال.

﴿يَطُوفُونَ﴾ يتردَّدون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ تارة يكونون فيها، وتارة في الحميم، وهو ماء حارٌّ يغلي منذ خلق الله جهنَّم يغمسون فيه، وقيل: صديد أهل النار الحارُّ، وعن الحسن نحاس مذاب كالماء حارٌّ، وعلى كلِّ حال يغمسون في الحميم فتخلع أعضاؤهم فيخلقها الله ﷻ ، وقيل: ينصبُّ عليهم.

﴿ءَانٍ﴾ بالغٍ إناه، أي: غايته في الحرارة. وقيل: حاضر، وهو كقاض.

---

١-أي كَمْ مرَّة أخبر بذلك لعلَّهم يحترزون.

﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ نعمه التي تضمَّنها الإخبار بجهنَّم، والحميم الآني فيتزجروا. والآيات من قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ **إلى هنا لا نعمة فيها بل زواجر، لكنَّها وعظ نافع لمن يزدجر، فهي نعم فساغ ذكر الآلاء معها.**

## أنواع نعم الله على المتقين في الآخرة

## -١-

## وصف جنات المقربين

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ
فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَا
ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ
قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾

﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ**﴾ موضع قيامه وهو المحشر، أو زمان قيامه، أو نفس قيامه، وقيامه في ذلك كلِّه قيامه على كلِّ نفس بالجزاء على أعمالها، أو قيامه عليهم في حياتهم بالمراقبة والحفظ لأحوالهم، كما قال عَزَّوَجَلَّ : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾ (سورة الرعد: ٣٣) ، فالقيام فعله.

ويجوز أن يكون قيام الخلق له، أي: القيام الذي يقومه الخلق له عَزَّوَجَلَّ ، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة المطفِّفين: ٦) ، فالقيام فعل الخلق في المحشر ينتظرون ما يحلُّ بهم.

وعلى كلِّ حال يهتمُّ بالمعصية فيذكر العذاب عليها فيتركها. ﴿**جَنَّتَانِ**﴾ عرض

كلٍّ واحدة منها مائة عام، كما رواه عياض بن غنم[١]، إحداهما مترله وموضع زيارة أحبابه له، والأخرى مترل أزواجه وخدمه. أو إحداهما داخل مترله والأخرى خارجه. أو جنَّتان ينتقل من إحداهما للأخرى، لتتوفَّر لذَّته، في مقابلة تردُّد أهل النار بين الحميم والنار.

وروي أنَّ أبا بكر ﷺ تفكَّر في أهوال يوم القيامة فقال: «ياليتني كنت نبتة فأكلتني بهيمة، أو لم أولد» فترل: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾.

وفي الترمذيِّ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المترل، ألاَ إنَّ سلعة الله غالية، ألاَ إنَّ سلعة الله الجنَّة**»[٢] والإدْلاج السير أوَّل الليل، وذلك عبارة عن الاجتهاد في الطاعة.

﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا**﴾ نِعَم التوفيق إلى خوف المقام ونِعَم الجنَّتين ﴿**تُكَذِّبَانِ**﴾.

﴿**ذَوَاتَآ**﴾ صاحبتا، نعت «جَنَّتَانِ». تثنية ''ذات'' بمعنى صاحبة. ﴿**أَفْنَانٍ**﴾ جمع فنٍّ بمعنى نوع، أي: ذواتا أنواع من الأشجار والثمار، أو جمع فنن، وهو الغصن الليِّن الدقيق، روايتان عن ابن عبَّاس.

وعلى التفسير بالأغصان يكون اختيار ذكرها عن ذكر الأوراق والقصب والثمار، لاشتمالها على ذلك كلِّه، وعلى الظلال مع اختصار، وقيل: «أَفْنَانٍ» ظلالٍ، وهو تفسير باللازم والمعنى. وكذا قول بعض: ذواتا فضلٍ وسعةٍ على ما

---

١–عياض بن غنم بن زهير الفهري: من شجعان الصحابة وفرساهم، أسلم قبل الحديبيَّة، ونزل الشام، وفتح الجزيرة في بلاد ما بين النهرين في أيَّـــام عمر، وكان يقال له: ''زاد الراكب'' لكرمه. تُوُفِّيَ في الشام أو في المدينة سنة ٢٠هـــ. الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٩٩.

٢–أورده **المنذريُّ** في الترغيب في الخوف وفضله، ج٤، ص٢٦١، رقم١٠. من حديث أبي هريرة. وقال: رواه الترمذيُّ وقال: حديث حسن.

سواهما. وعن عطاء: غصون في كلِّ غصن فنون من الفاكهة.

﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا**﴾ نعم الأفنان ﴿**تُكَذِّبَانِ**﴾ وما يكون في الآخرة متحقِّق، متزَّل متزلة الحاضر، ولا يعتبر إنكار منكره.

﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ**﴾ الجملة نعت لـــ«جنَّتَان»، أي: في كلِّ واحدة منهما عينان من الماء الزلال، إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل عند الحسن، أو إحداهما ﴿مِن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ ، وأخرى ﴿مِنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ (سورة محَمَّد: ١٥) . وعن ابن عبَّاس: عينان مثل الدنيا أضعافًا مضاعفة.

﴿**تَجْرِيَانِ**﴾ على استمرار من جبل مسك إلى أسفل، و إلى أعلى بحسب إرادة السعداء. وعن ابن عبَّاس: تجريان بالزيادة والكرامة على أهل الجنَّة، قاله ابن عبَّاس، أو إحداهما تجري بماء التسنيم، والأخرى بالسلسبيل، أو إحداهما ﴿مِن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ ، والأخرى ﴿مِنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾.

﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا**﴾ نعم العينين وجرياهما ﴿**تُكَذِّبَانِ**﴾.

﴿**فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ**﴾ يتعلَّق بمحذوف حال من ضمير الاستقرار ﴿**زَوْجَانِ**﴾ صنفان: أبيض وأحمر، أو أخضر وأصفر، أو معروف في الدنيا وغريب غير معروف فيها. والجملة نعت لـــ«جنَّتان». ﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا**﴾ نعمه التي هنَّ كلُّ فاكهة وأنَّ كلاًّ منها زوجان ﴿**تُكَذِّبَانِ**﴾.

﴿**مُتَّكِئِينَ**﴾ حال محذوف العامل والصاحب، أي: يتنعَّمون فيهما متَّكئين، أو يستوطنون الجنَّة أو يدخلوها متَّكئين، أي: مقدَّرين الاتِّكاء، والاتِّكاء من صفات المتنعِّم الصحيح الجسم الفارغ عن الهمِّ. والمراد: متَّكئين فيها، أو متَّكئين في منازلهم، قدَّم هنا «مُتَّكِئِينَ» لتقدُّم ذكر الخوف، فناسب ذكر ما يشعر بزواله وهو الاتِّكاء، فإنَّه من شأن الآمنين.

﴿عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا﴾ ما يلي الأرض منها ﴿مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ﴾ حرير غليظ، فكيف ظواهرها، ولا بدَّ أن يكون أفضل، فقيل: هي من سندس، وقيل: من نور جامد، وقيل: من نور يتلألأ.

وعن ابن عبَّاس: من باب قوله ﷻ : ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ (سورة السجدة: ١٧).

﴿وَجَنَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ﴾ ما يُجنَى من ثمارهما، أي: ما من شأنه أن يجنى، أو ما يراد أن يجنى، أي: يؤخذ. «دَانٍ» أي: قريب إلى أيديهم وأفواههم.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ من الاتِّكاء على تلك الفرش وقرب جَنَى الجنَّتين ﴿تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فِيهِنَّ﴾ أي: في الجنَّات والجمع باعتبار أنَّ لكلِّ خائف جنَّتين، أو لكلِّ خائف من الإنس جنَّة ولكلِّ خائف من الجنِّ جنَّةٌ، فهؤلاء جنَّات، وهذا يغني عن قول الفرَّاء: إنَّ الضمير للجنَّتين، وإنَّه كثيرًا ما يعبَّر عن اثنين بما للجمع. وقيل: الضمير للقصور والبيوت المدلول عليها بالمقام لذكر الجنَّتين. وقيل: الضمير للجنَّتين باعتبار ما فيهما من البيوت والقصور.

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ آدميَّات وجنِّـيَّات وحور، والطرف: العين، والمراد الجنس، فيشمل العيون، وأصله مصدر بمعنى النظر. والمعنى: يحبسن عيونهنَّ عن النظر إلى غير أزواجهنَّ من الرِّجال، كما رواه ابن مردويه مرفوعًا إليه ﷺ .

فـ«الطرف» عيونُهنَّ، تقول الواحدة لزوجها: «وَعزَّة ربِّي ما رأيت في الجنَّة أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلني زوجك وجعلك زوجي». ويجوز أن يكون المعنى: يحبسن من نظر إليهنَّ أن ينظر بعينيه إلى غيرهنَّ لحسنهنَّ، فالطرف عيون النَّاظرين لو كان ينظر الرِّجال إليهنَّ، أو الناظرون أزواجهنَّ.

ويجوز إبقاء «الطَّرْفِ» على المعنى المصدريِّ، بمعنى: يحبسن نظرهنَّ عن غير أزواجهنَّ، أو يحبسن نظر من نظر إليهنَّ عن أن ينظر إلى غيرهنَّ، أو المراد: مدحهنَّ بقصر النظر عن المكان البعيد.

﴿**لَمْ يَطْمِثْهُنَّ**﴾ الطَّمث خروج الدم، كما يقال للحيض: طمث، ويقال لوطء الأبكار طمث لخروج الدَّم به، ثمَّ أطلق على الجماع مطلقًا، كما هنا، فإنَّ نساء الجنَّة ولو كنَّ أبكارًا كلَّما جومعن ردَّ الله بكارتهنَّ، لكن لا دم ولا ألم بجماعهنَّ. والهاء لقاصرات الطرف لأنَّ المراد بهنَّ الزوجات في الجنَّة.

﴿**إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَآنٌّ**﴾ يزيِّن الله نساء الدنيا بأفضل ممَّا للحور، ويجعلهنَّ أبكارًا ولو متن على غير بكارة، فنساء كلِّ سعيد في الجنَّة لم يمسَّهنَّ قبله فيها إنس ولا جانٌّ، سواء الآدميَّات والجنِّـيَّات والحور، ويناسب ذلك التعبير بالطمث الذي هو وطء البكر.

والهاء للأزواج المدلول عليهنَّ بالمقام، وذِكْرِ ﴿مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ وذكر ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ و﴿مُتَّكِئِينَ﴾، أو راجع إلى ﴿مَنْ خَافَ﴾.

﴿**فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا**﴾ من قاصرات الطَّرف اللاَّتي لم يمسَّهنَّ إنس قبلهم ولا جانٌّ ﴿**تُكَذِّبَانِ**﴾.

﴿**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**﴾ هذه الجملة وجملة «لَمْ يَطْمِثْهُنَّ...» نعتان لــ«قَاصِرَاتُ» ولو أضيف لمعرفة، لأنَّ إضافته لَفْظِيَّة، وأيضًا المراد الجنس. ووجه الشبه صفاء الياقوت وبياض المرجان، وهو اللؤلؤ، أو صفاء الياقوت وحمرة المرجان، وعلى أنَّ المراد به المرجان المعروف الأحمر.

﴿**فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا**﴾ نعمه التي هي كونهنَّ كالياقوت والمرجان، والتلذُّذ بها على هذا الوصف ﴿**تُكَذِّبَانِ**﴾.

﴿**هَلْ جَزَآءُ الاِحْسَانِ**﴾ بالتوحيد والعمل الصالح الذي يستتبعه التوحيد ﴿**إلاَّ الاِحْسَانُ**﴾ بالجنَّة وما فيها من الفرش وقاصرات الطرف وغير ذلك، وهذا العموم مراد في قوله ﷺ في هذه الآية بعد ما قرأها: «**هل تدرون ما قال ربُّكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «**يقول: هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلاَّ الجنَّة ؟ فإنَّ الله تعالى لا يمدح الفاسق بتوحيده**»[١] رواه الترمذيُّ عن أنس وابن النجَّار[٢] عن علي.

وقرأ ابن أبي إسحاق: «هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلاَّ الحِسَانُ» بمعنى قاصرات الطَّرف. وفي حديث: «**الإحسان أن تعبد الله كأنَّك تراه فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك**». ﴿**فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا**﴾ نعم مجازاة الإحسان بالإحسان ﴿**تُكَذِّبَانِ**﴾.

-٢-

## وصف آخر لجنَّـات أصحاب اليمين

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ
﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ
فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

---

١-أورده القرطبي في تفسيره ج١٧ ص١٨٣ من حديث علي.

٢-لعلَّه ابن النجار محمَّد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي أبو البقاء فقيه حنبليٌّ مصريٌّ له كتاب «منتهى الإرادات» في فقه الحنابلة، تُوُفِّيَ سنة ٩٧٢هـ. الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٦.

﴿**وَمِن دُونِهِمَا**﴾ في الفضل ﴿**جَنَّتَانِ**﴾ أخريان، السابقتان أفضل منهما، السابقتان للسابقين، وهاتان لأصحاب اليمين عند الأكثر. وعن الحسن: السابقتان للسابقين، وهاتان للتابعين.

ويدلُّ لهذا القول حديث البخاريِّ ومسلم عن أبي موسى عن رسول الله ﷺ : «**جنَّتان من فضَّة آنيتهما وما فيهما، وجنَّتان من ذهب آنيتهما وما فيهما**» فأخَّر اللتين من الذهب، فعرفنا أنَّهما اللتان المتأخِّرتان في الآية، فمعنى ﴿مِن دُونِهِمَا﴾: أمامهما.

﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَآمَّتَانِ**﴾ نعت لـــ«جنَّتَان»، أي: شديدتا الخضرة، حتَّى كأنَّهما سوداوان، والدهمة السواد. وصيغة الافعيلاَل من الدهمة للمبالغة، فالادهيمام مصدر، واسم الفاعل: مدهامٌّ (بشدِّ الميم) أصل المدغمة الكسر.

وسأل أبو أَيـــُّوب الأنصاريُّ رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ فقال: خضراوان، أي: شديدتا الخضرة من الريِّ، فهما من نبات كنبات الأرض في الدنيا ﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا**﴾ نِعَمِ ادْهِمَامِ الجنَّتين ﴿**تُكَذِّبَانِ**﴾.

﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**﴾ فوَّارتان بالماء، والنضخ دون الجري، على أنَّ السابقتين أفضل، كذا قيل، والظاهر أنَّ الفوران الشديد فيه جري وزيادة قُوَّة، وحسن منظر بتناثره قطرات إلى جوانب.

وعن البراء بن عازب من رواية ابن أبي حاتم: «العينان اللَّتان تجريان خير من اللَّتين تنضخان»، وكأنَّه اعتبر أنَّ الفوران يكون على ضعف شيئًا فشيئًا. وعن أنس: «نضَّاختان بالمسك والعنبر على دور الجنَّة، كما ينضخ المطر على دور الدنيا» وعن مجاهد: نضَّاختان بكلِّ خير، ﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا**﴾ نِعَمِ النضخ ﴿**تُكَذِّبَانِ**﴾.

﴿**فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ**﴾ أي: وثمر نخل، وعطفهما على «فَاكِهَةٌ» عطفُ خاصٍّ على عامٍّ لمزيَّتهما، ويجوز أن لا يقدَّر: «وثمر نخل» فيقدَّر: «وشجر رمَّان»، ويجوز أن يبقى على ظاهره وهو المأكول.

وروى أبو سعيد الخدريُّ عنه ﷺ : «**نظرت إلى الجنَّة** ــ أي ليلة الإسراء ــ **فإذا الرمَّانة من رمَّانها كالبعير المقتب**»[1]. وفي حديثه مرفوعا: «**أصوله فضَّة وجذوعه فضَّة، وسعفه حلل وحمله رطب**»[2]. وفي رواية: «**ثمارها كالقلال، أو الدلاء أَشَدُّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد**»[3] وهذا مغاير لما مرَّ عن ابن عباس من الزمرد والذهب، فيجاب بأنَّ بعضا كما قال ابن عبَّاس وبعضًا كما قال أبو سعيد.

﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا**﴾ نعم الفاكهة والنخل والرمَّان ﴿**تُكَذِّبَانِ**﴾.

﴿**فِيهِنَّ**﴾ في هاتين الجنَّتين أو في هؤلاء الجَنـــَّات كلِّهنَّ، على حدِّ ما مرَّ في قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾.

﴿**خَيْرَاتٌ**﴾ جمع خَيْرَة (بفتح فإسكان) وهو صفة مشبَّهة، كسهلة، كما

---

١-أورده **السيوطي** في الدر، ج٦، ص١٦٦. وقال: أخرجه ابن أبي حاتم من حديث أبي سعيد. **والألوسي** في تفسيره مج٩، ص١٢٢. وقال: أخرجه ابن أبي حاتم وابن عساكر، من حديث أبي سعيد.

٢-أورده **السيوطي** في الدر، ج٦، ص١٦٦. **والألوسي** في تفسيره، مج٩، ص١٢٢، مع زيادة في آخره، وأوَّله قوله: «مثَّل ﷺ عن نخل الجنَّة فقال: أصوله...»، من حديث أبي سعيد.

٣-أورده **السيوطي** في الدر، ج٦، ص١٦٦. والألوسي في تفسيره، مج٩، ص١٢٢، وأوَّله قوله: «نخل الجنَّة جذوعها زمرد أخضر...»، وقال: أخرجه ابن المبارك وابن أبي شيبة وهناد وابن أبي الدنيا وابن المنذر والحاكم وصحَّحه آخرون. من حديث ابن عبَّاس.

يقال: شرَّة، وفيه السلامة من الحذف. أو الجمع: خيِّرة (بفتح الخاء وكسر الياء مشدَّدة) خفِّف بحذف الياء الثانية، كما يخفَّف نحو: ليِّن وهيِّن.

﴿**حِسَانٌ**﴾ حسان الخَلْق والخُلق، وعن قتادة: خيرات الأخلاق، حسان الوجوه، كما روته أمُّ سلمة عن رسول الله ﷺ وعنه ﷺ : «**لو اطّلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما**»[1] أراد بين السماء والأرض. ﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا**﴾ نعمه من الخيرات الحسان ﴿**تُكَذِّبَانِ**﴾.

﴿**حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ**﴾ بدل من «خَيْرَاتٌ»، أو نعت آخر لمنعوت «خَيْرَاتٌ»، أي: نساء خيرات حسان حور، وهذا أولى. والمفرد: حوراء، ومادَّة "حَوَرَ" بمعنى البياض، والمعنى: بيض البدن، كما روي عن أمِّ سلمة مرفوعًا بلا ذكر بدن، مع أنَّه مراد، وكما روي عن ابن عبَّاس موقوفًا.

﴿مَّقْصُورَاتٌ﴾: محبوسات خلقةً وطبعًا، ولا يدلُّ على هذا «قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ»، نعم يتبادر أنَّه بطبع وخلق. ﴿**فِي الْخِيَامِ**﴾ لا تتجاوزها إلاَّ بإذن أزواجهنَّ.

والخيام: جمع خيمة، وهي البيت المبنيُّ من عيدان الشجر مطلقًا. وإن كان من شعر أو قطن أو نحوه فهو بيت لا خيمة.

والمراد: يبنى لهنَّ مثل ذلك في الجـنَّة، من جواهرها كالزمرد والياقوت والمرجان وغير ذلك كاللؤلؤ.

---

١-أورده **المنذري** في كتاب الترغيب والترهيب باب الترغيب في الجنَّة ونعيمها، فصل في ثيابهم وحللهم، ج٤، ص٥٢٨، رقم٨٣، من حديث كعب . وأوَّل الحديث عنده هو: «لو أنَّ ثوبا من ثياب أهل الجنَّة لبس اليوم لصعق من ينظر إليه...».

و«فِي الْخِيَامِ» متعلِّق بـــ«مَقْصُورَاتٌ». وقيل: المعنى: مقصورات القلوب والأبصار على أزواجهنَّ، فيكون «فِي الْخِيَامِ» نعتًا آخر، أو حالاً لازمة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالآَءِ رَبِّكُمَا﴾ من نعم الحور وقصرهنَّ في الخيام ﴿تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَآنٌّ﴾ كما لم يطمثوهنَّ في الجنَّتين المذكورتين قبلُ ﴿فَبِأَيِّ ءَالآَءِ رَبِّكُمَا﴾ نِعَمِ انتفاء طمث الإنس والجنِّ لهنَّ قبلهم ﴿تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿مُتَّكِئِينَ﴾ مثل ما مرَّ ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ المفرد: رفرفة، ككَلمٍ وكلمة، وهي ما يطرح على ظهر الفراش للنوم عليه ــ عند عليٍّ وابن عبَّاس ــ والمراد في الآية الخُضْر، كما قال الله عَجَلِّ : ﴿خُضْرٍ﴾ جمع خضراء لا أخضر، لأنَّ المفرد «رفرفة» بالتأنيث، وفي الصحاح: الرفرف ثياب خضر تتَّخذ منه المحابس[1]، وعليه فـــ«خُضْر» في الآية نعت كاشف كالتأكيد.

﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ فراش نسب إلى عبقر بلد للجنِّ في زعم العرب، ينسبون إليه كلَّ شيء غريب عجيب من فراش وغيره، ونزلت الآية على ذلك، ومن ذلك النسب ما قيل: في شأن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «لم أر عبقريًا يفري فريه»، وقائل ذلك هو الإمام عليُّ بن أبي طالب، ويقال غيره.

وقيل: «عبقري» اسم جمعٍ، أو جمعٌ مفردُهُ عبقريَّة، والمراد عند الجمهور الفرش التي هي الزرابي التي في غاية الجودة، وقيل: الطنافس الرقاق، وقيل: الفرش الموشاة.

وإن فسِّرت الآيات كلُّها بالمخلوقات فيها فالأحاديث تلحق بهنَّ غيرهنَّ، وتزيد عليهنَّ، قالت أمُّ سلمة: «يا رسول الله أَنِساءُ الدنيا أفضل أم الحور العين»؟

---

١-المحابس جمع محبس، وهو ثوب يطرح على ظهر الفراش للنوم عليه. القاموس.

فهذا يَدُلُّ على أنَّ المراد بالحور من خُلِقْنَ في الجَـــنَّة، فأجابها ﷺ مُقِرًّا لها على ذلك بقوله: «**نساء الدنيا أفضل، كفضل الظهارة على البطانة**» قالت: وبم؟ قال: «**بصلاتهنَّ وصيامهنَّ وعبادتهنَّ، ألبس الله وجوههنَّ النور، وأجسادهنَّ الحرير، بيض الوجوه، خضر الثياب، صفر الحلي، مجامرهنَّ الدرُّ، وأمشاطهنَّ الذهب، يقلن: ألاَ نحنُ الخالدات فلا نموت أبدًا، ألا ونحن الناعمات فلا نبْأسُ أبدًا، طوبى لمن كُـــنَّا له وكان لنا**»(١)، ودخل بعبادتهنَّ صَوْنُهنَّ عن ملاقاة الأجانب ما استطعن.

﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ نعم الاتِّكاء على الرفرف الخضر والعبقريِّ الحسان.

﴿**تَبَارَكَ اَسْمُ رَبِـــّكَ**﴾ أسماؤه كلُّها، والإضافة للاستغراق، بمعنى: تنزّه أسماؤه عن الإلحاد فيها بإنكارها، وتفسيرها بما لا يليق.

وقيل: الاسم بمعنى الصفة، لأنَّها علامة على موصوفها، وقيل: اسم زائد، كما تقول: فعلت كذا لوجه فلان، تريد لفلان، كقوله: «ثمَّ اسم السلام عليكما».

أو ﴿تَبَارَكَ اَسْمُ رَبِّكَ﴾ كثرت خيراته، لأنَّه يدعى بها ويجاب الداعي، وهو أنسب بما قصد بالسورة من الامتنان بالنعم.

وختم الله تعالى نعم الدنيا بقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اَسْمُ رَبِّكَ ...﴾ إشارة إلى أنَّ الباقي هو الله تعالى. وفي مسلم عن ثوبان كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من

---

١-أورده **المنذري** في كتاب صفة الجنَّة (١١) باب وصف نساء أهل الجنَّة، رقم ١٠٢. **والطبراني** في الكبير، ج٢٣، ص٣٦٧، رقم٨٧٠. من حديث أمِّ سلمة.

صلاته ــ أي سلَّم ــ استغفر ثلاثًا، وقال: «**اللهمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا سلَّم من الصلاة لم يقعد إلاَّ مقدار ما يقول: «اللَّهمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام» وفيه تفسير الانصراف بالتسليم.

[قلت:] والمراد ــ والله أعلم ــ لم يقعد مستقبلا للقبلة إلاَّ ذلك المقدار فيستقبل الناس.

﴿**ذِي الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**﴾ نعت لــ«رَبِّكَ». وفيما تقدَّم أسند الجلال والإكرام للوجه، وهنا للمُسمَّى تعالى، فيعلم أنَّ المراد بالوجه الله عز وجل .

**وفّقنا الله عز وجل وأعاننا.**

**والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله وصحبه**

---

١-رواه **مسلم** في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٢٦) باب استحباب الذكر بعد الصلاة، رقم ١٣٦ و١٣٧. **والنسائي** في كتاب السهو (٨١) باب الاستغفار بعد التسليم، رقم١٣٣٦. **والترمذي** في كتاب الصلاة (٢٢٤) باب ما يقول إذا سلَّم من الصلاة، رقم٣٠٠. من حديث عائشة وثوبان مولى رسول الله ﷺ .